

وصف الطير في الشعر العربي النيجيري: دراسة تحليلية

DESCRIPTION OF BIRD IN THE NIGERIAN ARABIC POETRY: AN ANALYTICAL STUDY

إعداد

الدكتور إسحاق شعيب

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

08030568285 / shuaib.i@unilorin.edu.ng

ملخص

للطير مكانة مرموقة في قلوب الناس وخاصة الشعراء، نظرا لبديع خلقها وعجيب صنعها وإسهامها البارز القيم في خلق الشعر العربي، بخصب الخيال وجمال المعنى وروعة الأسلوب طوال العصور الأدبية عند العرب وفي نيجيريا. وتهدف هذه المقالة إلى تسجيل إسهامات شعراء نيجيريا حول طبيعة الطير الشكلية والمعنوية، ودراسة أشعارهم الواردة في وصفها، دراسة تحليلية تشمل دقة اختيار الألفاظ وبراعة التصوير في خيال مجنح وتشخيص وصدق العاطفة وحسن الموسيقى. والمنهج المتبع في هذه المقالة هو الوصفي الذي يقوم على المقارنة والتحليل والتصنيف والتفسير بغية الوصول إلى نتائج عامة. وتوصلت المقالة إلى بعض النتائج وهي أنه لا يقل شعراء نيجيريا عن إخوانهم العرب إعجابا وشغفا وعاطفة على الطير، مراعين الدقة في اختيار الألفاظ، وتتبع القواعد في تنسيق التراكيب، وحسن التخيل من التصوير والتشخيص، وتحسين الإيقاع الموسيقي من حيث الأوزان والقوافي.

Abstract

Bird had gained interests of many Arabic poets for description, in different patterns, across their literary periods with resourceful fictions, plausible meanings and elegant styles. This is due to uniqueness of the bird in its physical look, gesture and attitude. The objective of this study was to analyze the poems composed by the Nigerian Arabic poets as the scope, in order to inquire into their capabilities in describing the physical and attitudinal peculiarities of the bird, with selection of appropriate words, good expressions and viable imaginations, which proffered their poems with clearness, strength and beautification. Therefore, the descriptive method was adopted for the study. The major finding of the paper was that the Nigerian Arabic poets displayed their literary endowments in the composition of their works. It was therefore, recommended that other poets should follow their steps in writing poems on other natural creatures.

الطير في المدلول المعجمي

إن مادة الطير مأخوذة من طير على صيغة فعل بفتح الفاء والعين وهي تأتي بمعنى الطيران: حركة ذى الجناح في الهواء بجناحه وبمعنى الحظ والعمل ويشترك منها الطائر والطيرة والتطير بمعنى التشاؤم والتطايير والاستطارة بمعنى التفرق وأطار وطير في التعدية.

يقول صاحب لسان العرب : طير: الطيران: حركة ذى الجناح في الهواء بجناحه، طار الطائر يطير طيرا وطيرانا وطيرة وطيره وطار به يعدى بالهمزة وبالتضعيف وبحرف الجر الصحاح : وأطاره وطيره وطايره بمعنى.

والطير: معروف اسم الجماعة ما يطير مؤنثا والواحد طائر والأنثى طائرة وهي قليلة: التهذيب: وقلما يقولون طائرة للأنثى. وأرض مطارة: كثيرة الطير. وقد يجوز أن يكون الطائر اسما للجمع كالحامل والباقر وجمع الطائر أطيّار. وهو أحد ما كُسّر على ما يكسر عليه مثله؛ فأما الطيور فقد تكون جمع طائر كساجد وسجود وقد يكون جمع طير الذي هو اسم للجمع.

وزعم قطرب أن الطير يقع للواحد : قال ابن سيدة: ولا أدري كيف ذلك إلا أن يعنى به المصدر، وقرئ: "فيكون طيرا بإذن الله" وقال ثعلب: الناس كلهم يقولون للواحد طائر، وأبو عبيدة معهم، ثم انفرد فأجاز أن يقال طير للواحد وجمعه على طيور، قال الأزهري وهو ثقة الجوهري: الطائر جمعه طير مثل صاحب وصحب وجمع الطير طيور وأطيّار مثل فرخ وأفراح. وفي الحديث: الرؤيا لأول عابروهي على رجل طائر قال: كل حركة من كلمة أو جار يجرى فهو طائر مجازا.

والتطايير: التفرق والذهاب، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: سمعت من يقول: إن الشؤم في الدار والمرأة والاستطارة والتطايير: التفرق والذهاب ويقال للقوم إذا كانوا هادئين ساكنين: كأنما على رؤوسهم الطير، وأصله أن الطير لا يقع إلا على شيء ساكن من الموات، فضرب مثلا للإنسان ووقاره وسكونه.

والطير: الاسم من التطير، ومنه قولهم: لا طير إلا طير الله، كما يقال: لا أمر إلا أمر الله، وأنشد الأصمعي، قال: أنشدناه الأحمر:

تعلم أنه لا طير إلا
على متطير وهو الثبور
فهل شيء يوافق بعض شيء
أحايينا وباطله كثير

وقد تطير به، والاسم الطيرة والطورة. وقال أبو عبيدة: الطائر عند العرب الحظ، وهو الذي تسميه العرب البخت. وقال الفراء الطائر معناه عندهم العمل، وطائر الإنسان عمله الذي قلده، وقيل رزقه والطائر الحظ من الخير والشر. وقوله عز وجل (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) وقيل حظه وقيل عمله وقال المفسرون : ما عمل من خير أو شر ألزمناه عنقه إن خيرا فخييرا وإن شرا فشرا. والتطير بمعنى التشاؤم وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم المبعوث إليهم صالح عليه

السّلام (قالوا اطيروا بك وبمن معك قال طائركم عند الله)، معناه ما أصابكم من خير وشر فمن الله، وقيل معنى قولهم اطيروا فأجابهم الله تعالى فقال (طائركم معكم: أي شؤمكم معكم، وهو كفركم، وقيل للشوم طائر وطيور وطيرة لأن العرب كان من شأنها عيافة وزجرها والتطير ببارحها ونعيق غرابها وأخذها. ذات اليسار إذا أثاروها فسموا الشوم طيرا وطائرا وطيرة لتشاؤمهم بها ثم أعلم الله جل ثناؤه على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن طيرتهم بها باطلة وقال: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتفاعل ولا يتطير. وأصل الفال الكلمة الحسنة يسميها غليل فيتفاعل منها ما يدل على برئه كأن سمع مناديا نادي رجلا اسمه سالم وهو غليل فأوهمه سلامته من علته وكذلك المضل يسمع رجلا يقول يا واحد فيجد ضالته والطيور مضادة للفال، وفي الحديث (صلى الله عليه وسلم) "كان يحب الفال ويكره الطيرة".^(١)

وصف الطير الشكلي والمعنوي في الشعر العربي

حظيت الطير بإعجاب العرب منذ العصر الجاهلي حتى العصور المتتابعة ، وكانوا يكونون لها حبا كبيرا، يؤا لفونها ويستأنسون بها، ويخاطبونها في عاطفة صادقة قوية وخاصة الدين كانوا في البداية حيث الطبيعة الخضراء والحدائق الغناء والسما والصفاء والأنهار والرياض- ومن ثم وصفوها وصفا دقيقا شكلا ومعنى ممتزجين بينه وبين الأغراض الأخرى حيناً وفي استقلال دون المزاجية حيناً آخر كما وصفوها باجناسها الأليفة والجارحة مثل الحمامة والديك والقيرة من الطيور الأليفة ، والغراب والقطا والنسر والبازي والصقر والقمرى من الطيور الجارحة .

ومن آيات حهم وإلفهم له قول نوفل: "وكان إعزازهم لحيوان البادية كبيرا، يؤثرون الخيل والإبل على النفس والولد، ويضنون على الملوك ببيعها وإعارتها ونلمح في حديثهم عن الحيوان وحشيه وأنيسه الحب والإلف وقد قال النعمان بن المنذر عنهم محقرا: يساكنون الوحوش والطيور الحائرة.... ويتصل بهذا تقنية الحيوان كما يكنى الإنس فقالوا "أبا الحارث للأسد، وأبا الحصين للشعلب، وأبا المضاء للفرس وأم رثام للنعام، وغير هذا كثير".^(٢)

ومن وصفها الشكلي قول الشنفرى الأزدي الذي صورها تصويرا شكليا دقيقا يكاد يحيط بجميع أعضائها وطبائعها بداية من لونها الأكدر المائل إلى السواد فحنوها (الضلع) وذقتها وحوصلتها وصوتها وحالتها حين الشرب ثم سرعة انطلاقها بعد الشرب:

وتشرب أسارى القطا الكدر بعد ما	سرت قريبا أحناؤه تتصلصل
فوليت عنها وهي تكبو العقره	يباشره منه ذقون وحوصل
كان وغاها حجرتها وحوله	أضاميم من سفر القبائل نزل
توافين من شتى إليه فضمها	كما ضم أذواد الأصاريم منهل

فعبت غشاشا ثم مرت كأنها مع الصبح ركب من أحاطة بحفل^(٣)
ويصف المتنبي لون الحمام بالورقة وصوتها بالغناء
إذا غنى الحمام الورق فيها ## أجابته أغاني القيان
ومن با لشعب أحوج من حمام ## إذا غنى وناح إلى البيان^(٤)
ويقول ابن حمديس الصقلي في وصف منقارها
من كل واقعة ترى منقارها ... ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فإن شدت جعلت تغرد بالمياه صغيرا^(٥)

ويراد بوصف الطير وصفا معنويا اظهار ما توحى بها الطير من المعاني التي تدرك عبر عاداتها وطبيعتها مثل إقدام الأسد وشجاعته وسرعة القطا والنسر وعجب الطاووس واختياله والفال بصياح الديك والتشاؤم بنعاق الغراب واليوم وما الى ذلك بناء على نظرية احمد الشايب الذي أقر في كتابه أصول النقد الأدبي أن لكل طبيعة معنى " : فإذا شاء الأديب أن يشعر كجمال الورد وصفها لك وصفا رائعا توقظ بهجتك في خيالك محاسنها الظاهرة في لونها وشكلها وأريجها أو ذكر لك المعاني التي توحى بها الورد كزهو الشباب وفرحة الأمل والاحتياال الحسن أو عكس ذلك كالغرور بالجمال الزائل والخدع الباطلة والحياة الفانية.^(٦)

وقول العلامة الفخر الرازي في تفسير الآية السابقة " : القول السابع : ما رواه أبو سليمان الخطابي عن سفيان بن عيينة ، أنه لما قرأ هذه الآية قال : ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من بعض المهناءم ، فمنهم من يقدم إقدام الأسد ، ومنهم من يعدو عدو الذئب ، ومنهم من ينبج نباح الكلب ، ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس ، ومنهم من يشبه الخنزير ، فإنه لو ألقى إليه الطعام الطيب تركه ، وإذا قام الرجل عن رجيعة ولغ فيه ، فكذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها ، فإن أخطأت مرة واحدة حفظها ، ولم يجلس مجلسا إلا رواه عنه . " ثم قال : فاعلم يا أخى إنك إنما تعاشر المهناءم والسباع ، فبالغ في الحذر والاحتراز ."^(٧)

ومن وصف الطير وصفا معنويا في الشعر العربي قول امرئ القيس مشبها سرعتها الخارقة إلى الصيد بسرعة الطير :

وقد أغتدى والطير في وكناتها ## بمنجرد قيد الأوابد هيكل^(٨)
وقول عنتره العبسي متشائما بالغراب

ظعن الذين فراقهم أتوقع ## وجرى ببيتهم الغراب الأسود
إن الذين نعبت لى بفراقهم ## هم أسهروا ليلى التمام فأوجعوا^(٩)
وعلى عكس ذلك يتفاءل الأخطل وهو يمدح عبد الملك بن مروان
نفسى فداء أمير المؤمنين إذا ## أبدى النواجد يوما عارم ذكر

- الخائض العمرة الميمون طائرته # خليفة الله يستسقى به المطر^(١٠)
 ويتفائل المقنع الكندي من شعراء الأموى قائلا:
 وإن زجروا طيرا بنحس تمر بي # زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا^(١١)
 ويقر حافظ إبراهيم الفال معارضا للتشاؤم:
 أيطربكم من جانب الغرب ناعب # بنادي بوادي في ربيع حياتي
 ولو تزجرون الطير يوما علمتم # بما تحته من عشرة وشتات^(١٢)
 وفي معنى الطرب والحب يقول صفي الحلي:
 وأطلق الطير فيها سجع منطقته # ما بين مختلف منه ومتفق
 والسحب تبكي وتغر البرق مبتسم # والطير تسجع من تيه ومن أنق^(١٣)

وصف الطير الشكلي والمعنوي في الشعر العربي النيجيري

لا يقل شعراء نيجيريا عن إخوانهم العرب إعجابا وشغفا وعاطفة على الطير، وخاصة الطيور الأليفة مثل الحمامة والدجاج والديوك والبط والطواويس والديك الرومي والأرانب والخفاش والعصافير والبغاء والبلبل وصوروا من الجارحة الغراب والعنقاء والنسر والصقر وغيرها، في صورة شكلية ومعنوية وفي مزاجية واستقلال
 ومن وصف الطير الشكلي في الشعر العربي النيجيري قول الوزير جنيد الذي وصف ألوان الطير المتراوحة بين بياض ناصع وحمرة وما يشبه سوادا:

لم لا أنادي في الطلول وهذه الأشجار فوق غصونهن شوادي
 ألوانها ما بين أبيض ناصع أو أحمر أو مشرب بسواد
 تشدو وترقص في حلى ارياشها رقص القيان بحلة الاعياد^(١٤)
 وصور عيسى ألي صياح الديك وعرفه ورياشه بقوله:

ياديك ما ذنب الصياح ** تفشيه في الفجر الملاح
 وتمد عرفك فيه في ** زهو يحبب وانشرح
 يصحوبه من قد تعمق في المنام الى الصباح
 ويعود بعد الصمت للدنيا النشاط كذا المراح
 تغريك زخرفة الرياش كذا زركشة الجناح
 وتجاوب الاطيار يغدب بالتغرد والنواح^(١٥)

ووصف الياقوتي صوتها وصدائها وأعشاشها وطبيعة تعلقها بالأشجار الفينانة ورعاية أفراخها ومنقارها وطيرانها في الجو:

الغناء للأسفار أعمارها	في الغابة الغلباء أطيارها
فيئانة في الحسن أخبارها	أعشاشها في دوحة علقت
فمها تراعيها وأظفارها	أن أفراخها ترتعي
فراخ أن تفتح منقارها	فانظر إليها تلمس القوت للا
حتى استتب السكن استارها	تسعى على الأميال في جوها
يدهب بالاحزان تكرارها ^(١٦)	لها من الألحان اصداؤها

وفي تصوير الطير تصويرا معنويا يقول الوزير جنيد واصفا سرعتها:

خرجنا بعون الله في غلس الى المطار وكنا كالطيور البواكر^(١٧)

ويشبهه صالح مصطفى صالح جمال ممدوحه القاضي المتقاعد هارون إدريس والاختيال الذي يطالبه به بجمال واختيال الطاووس

تزهو لعدلك بين الناس قدوتهم كما زها بين سرب الطير طاووس^(١٨)

وفي معنى قوة الطير وضعفه يقول عبد الله بن فودي

فاستنسرت بغائثها وتنمرت جراثيها ترمي بنصل سملج^(١٩)

وفي ضعف طيران الأفراخ يقول إسحاق الجيلي

عفوا فما كان للأفراخ قادمة ما النجم كالبدر في حكم الموازين^(٢٠)

وفي بيت الوزير جنيد الاتي معنى التشاؤم بالغراب

فاعجب لها إنها عنقاء مغربة جاءت تذكر عباس بن فرناس^(٢١)

ويعارض موسى ايسنوبوا التشاؤم وزجر الطير

ايا زاجر الطير مثل الغراب خبيث الفؤاد شرير المآب

وعيد الإله على زاجر وقد جاء تكراره في الكتاب^(٢٢)

ويظهر معنى الطرب في قول حامد الهجري

صدحت بأبهى فرحة تحكي بها أحلى الكلام تشب بالأدهان

تنسابق الاطيار والازهار في تقديم باقات الشنا بتهان^(٢٣)

دراسة تحليلية لوصف الطير في الشعر العربي النيجيري

دراسة الألفاظ

الدقة

يراد بالدقة عند دراسة المفردات اختيار أدق الكلمات في أداء المعنى وأشدها في الإبانة عما يريد

. ويلاحظ هذه الخاصية في قول عبد القادر أوغانيجا:

والبلبل الصداح يشدو إن شدا ** عذب العبارة من يراعة أحمد^(٢٤)
 فوصف الشاعر البلبل بالصداح في البيت فيه دقة الاختيار وإبانة المعنى لترنم الطائر إذ ورد في المعجم:
 صبح الطائر صدحا وصداحا: رفع صوته فأطرب.^(٢٥)
 وتلاحظ الدقة أيضا في قول الوزير جنيدي
 بكت الورقاء على شجر ** في بضع رياض من الزهر^(٢٦)
 فوصف الحمامة بالورقة اصح اختيار وانسب صفة لها بناء على الاستعمال اللغوي

التركيب

• جواز تأنيث الفعل

ومما يتفق والتركيب الصحيح لدى شعراء هذه البلاد قول تكرر إنوا:
 وكم ورق تلقائي بصوت * ولكن لا أراه ولا يراني^(٢٧)
 فالفعل في كلمتي "تلقائي" و"ولا يراني" غير مؤنث لأن الشاعر لم يقل "تلقنتي" ولم يقل "تراني" ذلك أن
 كلمة "ورق" جمع ورقاء التي يعود إليها الضمير جمع تكثير وحكمه جواز التأنيث^(٢٨) وكذلك الحال في كلمة
 "ولا يراني" مما يدل على صحة هذا التركيبيو مهارة الشاعر اللغوية

• نزع الخافض

يلاحظ نزع الخافض في بيت عيسى ألي أبو بكر الآتي ذكره:
 ماذا أحال بغائنا نسرا ** وأحال أفرار الرب صقرا^(٢٩)
 استعمل الشاعر في البيت السابق كلمة "أحال" متعدية المفعولين وهما "البغاث والنسر" بيد أن فعل
 "أحال" ليس من الأفعال التي تنصب مفعولين ولكن ذلك صحيح نحويا على نزع الخافض، لأنه حذف الجر
 من الاسم مما يترتب عليه نصب الاسم الذي نزع منه حرف الجر وإن كان النحويون اختلفوا فيه بأنه
 قياسي أو سماعي وقد أجازوه جميعا للضرورة الشعرية^(٣٠) (اللبدي، ١٩٨٥ م، ص ٢٢٢).

دراسة العاطفة

تمثل العاطفة استجابة نفسية لحالة من الحالات المثيرة أو العامل من العوامل الظاهرة أو
 الباطنة التي تحدث في نفس صاحبها تغيرا أو انتقالا مفاجئا من حالة الاستقرار الشعوري التي كان يحس
 بها إلى حالة عدم الاستقرار، فقد يرى الإنسان فجأة شيئا يُغضبه أو يُخيفه أو تسمئ منه نفسه، فيحدث
 في نفسه الانفعال بالغضب أو الخوف أو الاشمئزاز.^(٣١)

• صدق العاطفة

حاول الشاعر عيسى ألبوكر أن ينقل للقارئ حادثة احتراق الديك عبر الأبيات السابقة في قوة وحرارة وصدق، ذلك أنه عندما شاهد هذه الظاهرة الأليمة اضطربت نفسه والتهبت كوامنه وانتشت مشاعره لكي يتأثر بها القارئ كما تأثر بها، ولينفعل بها انفعاله كذلك، لأنها نابعة من أعماق قلبه، فلا يستطيع أن يكتممها لغيره إلا أن يظهرها وينشرها، ومما يدل على انفعاله بالحادثة ومدى قوتها في قلبه، سؤاله التعجبي الذي وجهه إلى الديك فور مشاهدة هذه الحادثة وتعداد صفات هذا الحيوان الجميلة بداية من صياحه المطرب، وألوانه الجميلة، ورياشه المزين، وعرفه العجيب الذي يُشبه تاج الأمراء، ومنافعه المتعددة للإنسان، مما ينبغي أن يسترعي اهتمام المتجني عليه، ويستهوئ قلبه حتى يعطف عليه، ويكف عن هذه الجريمة النكراء اللانسانية. وفي ذلك يقول:

يا ديك ما ذنب الصياح ؟ تفشيه في الفجر الملاح
وتمد عرفك فيه في زهو يحيب وانشرح
تغريك زخرفة الريا ش كذاك شركشة الجناح^(٣٢)

وإن دل هذا السؤال التعجبي وما ذكر من صفات الديك ومنافعه على شيء، فإنما يدل على تأثره بالحادثة وإظهار حزنه وتأله بها ومدى اضطراب نفسه والتهاب شعوره نحوها، ليشعر بها القارئ ويتأثر بها، وخاصة عندما يردد القارئ هذه الأبيات ويقرأ تلك القصيدة، فلا يزال قلبه مفعما بالحزن والشفقة على هذا الحيوان الأليف المتجني عليه مثلما حدث الشاعر تماما.

وكذلك تظهر قوة عاطفة الشاعر وحرارتها وصدقها في هذه القصيدة في نقل الحادثة للقارئ كأنها ماثلة أمامه ويراهها بأعينه وفي هذا يقول:

إني رأيتك تلتظي يوما بلا أثر الجناح
تجري ضليلا حائرا والنار مسكرة كراح
هو مشهد سأظل أذ كره وفي القلب الجراح^(٣٣)

لا يستطيع الشاعر أن يصور الحادثة هذا التصوير إن لم يرها ولم يتأثر بها فالأبيات إذا تؤكد بصدق رؤية الشاعر لها وانفعاله بها حتى استطاع أن ينقل للقارئ حالة الديك حين الاحتراق وحيرته في النار أوان الالتزاء كأنه سكران، وكيف يضطرب عندما التهبت النار عليه، كما صور الشاعر حالته حين الحادثة وما تركت في قلبه من جراح عراض التي قد لا تندمل والتي لا تزال يذكرها مادامت الأرض والسموات.

الصور الخيالية الخيال التشخيصي

التشخيص لغة اسم، والجمع منه تشخيصات، وهو مصدر شخص. نقول: تمكن الطبيب من تشخيص المرض من معرفته وتعيين عوارضه. وقام بتشخيص المسرحية أي مثلها وتقمص أدوارها والتشخيص في البلاغة ملمح فني يعني إظهار المعنى المجرد أو الشيء الجامد كأنه شخص حي، أو أن يُنسب للحي ملامح الجمال "والطبيعة Personification".

قال تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتثلات وتقول هل من مزيد) سورة في الآية ٣٠، أي ظهرت جهنم في هذه الآية وهي شيء جامد، وكأنها دو حياة تتكلم وتطلب المزيد من المستحقين للعذاب وقال تعالى أيضاً: (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أجداً) سورة الكهف: الآية ٤٩، أظهرت الآية هذا العمل المعنوي وكأنه شخص حاضر ومائل أمامهم.

والتشخيص والتجسيد مترادفات، وقد فرق بينها بعض النقاد بقولهم: "التشخيص هو منح صفة من صفات البشر للشيء المعنوي أو الحسي غير العاقل، مثل: الغدر تكلم في قلب اليهود، والأهرام تروي تاريخ قدماء المصريين.

والتجسيد هو إبراز المعنى الذي لا يدرك بحاسة من الحواس الخمس) في صورة حسية، كقولنا: تحطم الياس على صخرة الأم، وتسرق إسرائيل الفرحة من القلوب فاليأس والفرحة شيتان معنويان قد برزا للعيان.

وكذلك فرق بين التجسيد والتجسيم، حيث يعني التجسيد نقل المعنويات إلى الأمور الحسية العاقلة، والتجسيم للأمور غير العاقل وتقشر الجسم بالجسد وهو البدن، ويُعد الجسد خاصاً بالجنس البشري. والجسم ما له طول وعرض وعمق.

ومهما يكن من أمر، فإن بلاغة الخيال التشخيصي تكمن في نقل المعنويات والمحسوسات من درجة أقل إلى درجة أعلى منه، كجعل الصورة الشعرية مليئة بالحياة والحركة ليقرب المعنى في أعذب تصوير وأيسر توضيح.

يقول عيسى ألبكر مصورا ديكا أحرق حيا

يا ديك ما ذنب الصباح؟	تقشيه في الفجر الملاح؟
وتمد عرفك فيه في	زهو يحب وانشر
يصحوبه من قد تع	مق في المنام إلى الصباح
ويعود بعد الصمت للد	نهما النشاط كذا المراح
تغريك زخرفة الريا	ش كذاك زركشة الجناح
وتجاوب الأطياريع	ذب بالتغرد والنواح

إني رأيتك تلتظي يوما بلا أثر الجناح
تجري ضليلا حائرا والنار مسكرة كراح
هو مشهد سأظل أذ كره وفي القلب الجراح
ما ذاك إلا غلظة في الخلق ليس لها براح^(٣٤)

شخص الشاعر عيسى ألبي أبوبكر الديك في الأبيات المتقدمة بإطلاق ملامح بشرية وصفات إنسانية عليه بداية من نداءه في البيت الأول نداء متعجب من أمره كأنه إنسان ويقول: "يا ديك ما ذنب الصباح؟"، ذلك أن الحيوان لا ينادي فالمنادي هو الإنسان.

كما يظهر هذا التشخيص أيضا في مخاطبة الديك وعتابه على إظهار زينته والفخر برباشه وتغرده وخاصة عندما يصيح وهو مستقيم وماد عنقه ومحرك عرفه كأنه يفخر كما يفخر الإنسان الذي كان في زينة زاهية. ويتضح هذا التشخيص كذلك في إفصاح الشاعر للديك برؤيته إياه حين يقول: "إني رأيتك تلتظي". ونلاحظ هذا التشخيص أيضا في وصف حالة الديك أوان الاحتراق بالسكر كأنه مدمن الخمر.

ويقول الوزير جديد:

بكت الورقاء على شجر ** في بضع رياض من الزهر
وأتاها الديك بفاكهها ** ويؤنسها وقف الفجر
فيقول لها عجباً عجباً ** ليكاتك في رق خضر
ونسيم الحر يهب بعـر ** ف الزهر إليك مدى الدهر^(٣٥)

يظهر التشخيص في هذه الأبيات بإجراء الشاعر حواراً راعاً بين الحمامة ذات لون الرماد أو لون البياض المائل إلى السواد (والديك، كأنهما إنسان يحاور بعضه بعضاً، ذلك أن الحمامة كانت تبكي وهي في رياض يحرق بها الزهر ولكن فكأنها كافرة بهذه النعمة ولم تدري أهميتها ومن ثم حاورها الديك وذكرها بأهمية هذا المكان ووجوب الشكر على هذه النعمة التي لا يجدها غيرها ويرغب فيها من سواها حيث متعة النسيم وعرف الزهر وهذا الحوار وهذه العظة لا تكون إلا من العاقل للعاقل والإنسان للإنسان مثله.

الخيال البياني

التشبيه ميدان فسيح من ميادين البلاغة يجري فيه فحول الشعراء والكتاب، وله منزلة عالية يتسامى إليها المجلون من الأدباء، وما ذلك إلا لأنه يدني البعيد ويجلو الغامض وتكتسي به المعاني رفعة وبهاء فتزداد به قدراً وتعلو به شأناً^(٣٦)

وعلى غرار ذلك يقول مصطفى صالح مصطفى أولاً تيجو:

تزهو لعدلك بين الناس قدوتهم ** كما زها بين سرب الطير طاووس^(٣٧)

كان من طبيعة الطاووس الاختيال والافتخار ولذلك يشبه به الشعراء في إظهار الفرح والسرور عندما حصلوا على النجاح في عمل من الأعمال، وبناء على هذا شبه الشاعر مصطفى صالح مصطفى أولاً تيجو ممدوحه القاضي هارون إدريس المتقاعد عن القضاء في المحكمة الشرعية الاستئنافية بولاية كوارا ، الورن بالطاووس في إظهار السرور والغبطة على نجاحه في القضاء حتى أوان التقاعد لأن ذلك الوقت وهذه الحالة تتطلب إظهار السرور وإبداء الفرح شكراً لله الكريم الذي وفقه للنجاح وتشجيعاً للجيل الصاعد ولا ينبغي أن ينكمش فيها الناجح أو يعبس وجهها بل عليه أن ينشر ويفرح كما يفرح الطاووس بهذا المشي وهذا الافتخار. وهذا التشبيه هو التشبيه المجمل لحذف وجه الشبه منه.

٢١- الاستعارة

يقول الوزير جنيد:

بكت الورقاء على شجرة ** في بضع رياض من الزهر^(٣٨)

فالورقاء من الحمامة على الحقيقة لا تبكي وإنما عرفو الصبح) ولكن شبه الشاعر زقو الطائر عند الفجعية بكاء الإنسان ثم حذف المشبة (الرقى) على ادعاء المشبه في جنس المشبه به فاستعار له فعل " يبكي " على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية.

الموسيقى الشعرية

يراد بالموسيقى الشعرية جرس الألفاظ وانسجام في توالي المقاطع و تردد بعضها بعد قدر معين منها. أنيس، ١٩٦٥م، ص ٩٠٨. (وسيدرس الباحث هذه الخاصية في وصف الطبيعة في الشعر العربي النيجيري من جانبها الداخلي والخارجي فيما يلي:

الموسيقى الداخلية

٢٢- رد العجز على الصدر

يقول تكرر إنوا:

وكم ورق تلقاني بصوت ** ولكن لا أراه ولا يراني^(٣٩)

٢٣- حسن التقسيم

يقول الوزير جنيد:

ألوانها ما بين أبيض ناصع ** أو أحمر أو مشرب بسواد^(٤٠)

قسم الشاعر في البيت السابق ألوان الطير التي يصفها إلى البياض الناصع والحمرة القانية وشيء من السواد، استيفاء لهذا الوصف وتجلية لصور هذه الألوان أمام القارئ، مما يدل على براعته في فن الوصف، ويبدوا أن هذا التقسيم يعطى للقارئ حلاوة الموسيقى وحسن الجرس عند الإنشاد، لما في هذه المقاطع من جمال النغم.

ويقول أيضا عبد الرقيق شئت:

فلاحظ و خطط وراقب و باغت *** و قاوم عداك وكن كالغراب^(٤١)

يلاحظ في هذا البيت نوع من التقسيم البارع الذي يوجي إلى معان عدة يريد بها الشاعر، ويسعى وراء استيفائها في هذا البيت، وهي تقديم نصائح مهمة لفضيلة الشيخ الممدوح تجاه الأعداء، وبالقرأة المتأنية والترنيم المطرب لتوالي هذا التقسيم وتردد هذه المقاطع ندرك به في البيت زيادة الجرس و حسن الوقع في السمع وحلاوة الموسيقى.

وتتمثل هذه الموسيقى أيضا في قول الشاعر موسى أيسنوبوا :

ويازاجر الطير مثل الغراب ** خبيث الفؤاد شرير المآب

فلا عالم أنت لازاجر ** ولا سائل العلم هز الخطاب^(٤٢)

فقرأة مقاطع كل سطر على معان مستقلة فيها جرس وأطرب نغم وخاصة سطر البيت الأول الوارد على تفاعيل متساوية [فعولن فعولن ، خبيث الفؤاد، فعولن فعولن، شرير المآب].

الموسيقى الخارجية

٢٤- الاقتباس

يلمح اقتباس طريف في قول الياقوتي:

فانظر إليها تلمس القوت للأ* فراخ إذ تفتح منقارها^(٤٣)

فقوله "فانظر إليها" مقتبس من تعبير قرآن "فانظر إلى طعامك وشرابك " [البقرة: ٢٥٩]. ذلك لما عرف به من اتجاه إسلامي وحتى في قصيدته هذه.

٢٥- أوزان الشعر

يقول نوح إبراهيم:

وللدجاجة ريش في قوادمها ** فلن تطير به بل تعتلى العيس^(٤٤)

جاء هذا البيت على بحر البسيط المخبونة عروضه المقطوع ضربه، فقوله "قوادمها" فعلن، بكسر العين دخله الخبن ، وقوله "العيسو" فعلن، بسكون العين ، حذف آخر الوند المجموع وسكن ما قبله إذ الأصل "فاعل" فنقل إلى "فعلن" وكلتا العروض والضرب صحيحتان عروضيا.

٢٦- القوافي

ومنها الروي كما يبدو في قول الياقوتي:

أطيار ذى الغابة في روضة ** مياها عذب وأنهارها

يروقها في وسع أجوائها ** وجود أفراخ وأقدارها^(٤٥)

فروي هذين البيتين هو الراء والهاء وصل.^(٤٦)

الخاتمة

ألقت المقالة الضوء على وصف الطير الشكلي والمعنوي في الشعر العربي وفي نيجيريا، منطلقاً من مدلول الطير المعجمي، ثم تطرقت إلى وصفها عند العرب، وركزت على إسهامات شعراء نيجيريا فيه، سواء ما وردت في ثنايا أشعارهم بالمزاوجة بين وصف الطير والأغراض الأخرى، وما وردت بالاستقلال، سواء الأليفة منها والجارحة، لنرى مدى استجابة هؤلاء الشعراء لطبائع هذا الخلق العجيب وانفعالاتهم نحوها، ثم عادت المقالة لدراسة أشعار شعراء نيجيريا دراسة تحليلية تتجلى بها قدراتهم في الوصف وتبرز بها المزايا اللغوية والفنية لهذه الأشعار. وأسفرت المقالة عن ولوع شعراء نيجيريا بالطيور الأليفة، وخاصة الديك والحمامة لكثرة مولاتهم لهما فبالوهما عاطفة بعاطفة وحباً بحب أكثر مما سواه من أسراب الطير. وتوصي المقالة الشعراء الذين ينقصهم التصوير في أشعارهم أن يراعوه لضروريته في أعمالهم الفنية دون أن يتجهوا فيه إلى المنهج العلمي وحده.

الهوامش والمراجع

- ١- محمد بن مكرم ابن منظور (٢٠٠٩م). لسان العرب، ج. القاهرة: دار التوفيقية للطبع والنشر والتوزيع. ص ٢٧٠-٢٧٤.
- ٢- سيد نوفل (١٩٤٥م). شعر الطبيعة في الأدب العربي، ط غير مذكورة. القاهرة شركة مساهمة مصرية. ص ٢٠.
- ٣- آدم عبد الله الإلوري (د.ت). عيون اللاميات العربية، ط غير مذكورة. لاغوس - نيجيريا: مطبعة الثقافة الإسلامية. ص ٦.
- ٤- شفيق عبد الرزاق أبو سعدة (د.ت). على مرافق الأدب الأندلسي، ط غير مذكورة القاهرة الجريسي للكمبيوتر والطباعة. ص ٢٠.
- ٥- أحمد حسن الزيات (د.ت). تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، ط ٢٥. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر. ص ٣٣٧.
- ٦- أحمد الشايب (١٣٦٧هـ - ١٩٤٦م). أصول النقد الأدبي، ط ٣. المطبعة غير مذكورة. ص ٤٤.
- ٧- محمد بن ضياء الدين فخر الدين الرازي (١٤٠١هـ - ١٩٨١م). تفسير الفخر الرازي، ج ١٢، ط ١. القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٢٢٥.
- ٨- الحسين بن أحمد حسن الزوزني (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م). شرح المعلقات السبع، ط ٤. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. ص ٣٥.
- ٩- شوقي ضيف (١٩٦٠م). تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، ط ١. القاهرة: دار المعارف. ص ٢١٧.
- ١٠- أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص ١٦٣.
- ١١- أحمد حسن الزيات، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- ١٢- محمد شريف سليم (١٣٣٣هـ). مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع. إلوزن: كيوداميلولا للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٢.
- ١٣- محمد شريف سليم، المرجع نفسه، ص ٦-٧.
- ١٤- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م). حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط ١. الرياض: المكتبة الإفريقية. ص ١٥٩.
- ١٥- عيسى ألي أبوبكر (٢٠٠٠م). الرياض، ط غير مذكورة. إلوزن: مطبعة ألي. ص ١٥٠.
- ١٦- عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، (د.ت). قصيدة في وصف الأطيوار، مخطوطة.
- ١٧- شيخو أحمد سعيد غلادنتي، المرجع السابق، ص ١٥٤.

- ١٨- المركز النيجيري للبحوث العربية (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م). الشعر العربي المعاصر في نيجيريا: قضايا واتجاهات، ط ١. القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع. ص ١٠٨.
- ١٩- عبد الله بن محمد بن فودي (د.ت). تزيين الورقات، الطبعة والمطبوعة غير مذكورتين. ص ٢٦.
- ٢٠- إسحاق شعيب الجيلي (٢٠١٨هـ - ١٤٣٩م). الرياحين: ديوان الشعر، ط ١. إلوزن: الحسبي للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٥.
- ٢١- المركز النيجيري للبحوث العربية، المرجع السابق، ص ١١٧.
- ٢٢- عبد الباقي شعيب أغاكا (٢٠١٥م - ١٤٣٧م). فن النقائض في نيجيريا، ط ٢. صكتو - نيجيريا: مطبعة جامعة عثمان بن فودي. ص ٣١٠.
- ٢٣- قسم اللغات جامعة الحكمة- إلورن (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م). المأدبة الأكاديمية في استقبال الأستاذ الدكتور مشهود محمد محمود جمبا إلى مصاف الأستاذية، ط ١. إلورن نيجيريا: مطبعة جامعة إلورن. ص ٢١٧.
- ٢٤- عبد القادر يونس أوغانيجا (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م). ألفية ابن يونس في مدح الرسول، ط ١. القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٢٦.
- ٢٥- مجمع اللغة العربية (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) المعجم الوجيز، ط ٢. القاهرة: مطابع دار المعارف بمصر. ص ٣٥٨.
- ٢٦- أبوبكر الصديق يعقوب أدوكو (١٩٨٦م). شعر الطبيعة في صكتو، بحث اليسانس مخطوط. صكتو: جامعة عثمان بن فودي. ص ١٩.
- ٢٧- تكرر محمد إنوا (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). الشاعر في ظلال الظروف، الطبعة والمطبوعة غير مذكورتين. ص ٦.
- ٢٨- علي الجارم ومصطفى أمين (د.ت). النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، ط غير مذكورة. لبنان: المكتبة العربية. ص ٥٨-٥٩.
- ٢٩- عيسى ألبى أبوبكر (٢٠٠٨م). السباعيات، ط ١. القاهرة: النهار للطبع والنشر والتوزيع ص ٣٠.
- ٣٠- محمد سمير نجيب اللبدي (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط ١. بيروت: دار الفرقان للنشر والتوزيع. ص ٢٢٢.
- ٣١- بدوي طبانة (١٤٠٧هـ). النقد الأدبي لطلاب السنة الثالثة الثانوية، ط ٢. المطبعة غير مذكورة. ص ٤٧.
- ٣٢- عيسى ألبى أبوبكر، الرياض، ص ١٥٠.
- ٣٣- عيسى ألبى أبوبكر، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

- ٣٤- عيسى ألي أبوبكر، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- ٣٥- أبوبكر الصديق يعقوب أدوكو، المرجع السابق، ص ١٩.
- ٣٦- عبد القدوس أبو صالح، وزميله (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) كتاب البلاغة: علم البيان. المطبعة غير مذكورة. ص ٧.
- ٣٧- المركز النيجيري للبحوث العربية، المرجع السابق، ص ١٠٨.
- ٣٨- أبوبكر الصديق يعقوب أدوكو، المرجع السابق، ص ١٩.
- ٣٩- تكرر محمد إنوا، المرجع السابق، ص ٦.
- ٤٠- شيخو أحمد سعيد غلادنتي، المرجع السابق، ص ١٥٨.
- ٤١- المركز النيجيري للبحوث العربية، المرجع السابق، ص ٨٠.
- ٤٢- عبد الباقي شعيب أغاكا، المرجع السابق، ص ٣١٠.
- ٤٣- عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، المرجع السابق.
- ٤٤- نوح إبراهيم باز الله الإلوري، (٢٠٠٩م) الباز الأشهب في اختطاف أفراس النقد والأدب، ط ١. كنو - نيجيريا: مطبعة فيتي. ص ٢٠٩.
- ٤٥- عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، المرجع السابق.
- عبد العزيز عتيق (١٤٣٤هـ - ٢٠٠٤م). علم العروض والقافية، ط غير مذكورة. القاهرة: دار الآفاق العربية. ص ١٢٤.